بالذي انزل على الذين امنوا الاية اي ايمان نفاق لهذا الغرض وهو من جنس صنيعهم الاحمق
فلبسوا امرهم كيدا وحذاقة ولا تومنوا ايمانا صحيحا وتصديقا كما علمتموه الا لمن
دعاكم الى ذلكم من اهل دينكم فهي كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن
بما انزل علينا قل ان الهدى انما يعتبر بنسبته الى الله ويتحصل من ذلك فايما وجد
فهو المتبع ردا عليهم في حصر ذلك على من اتى من قبلهم اي قولوا لهم لا تفعلوا عن ذلك
فعلهم هذا ينافي صحة الايمان المعتبر ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يكونهم
محجة معتبرة عند الله يحتمل انه من قولهم فيتعلق بما قبله كقولهم اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ويحتمل الا يكون من قولهم فيكون العلة محذوفة والوصول
الدليل عليه ويعضده التصريح بالاستفهام في قراءة ابن كثير اي اسعيتم في
اغماض الاسلام وهيئتم عالمايات من مكركم كراهة ان يوتى احد او كراهة ان
يوتى احد فعلتم ذلك قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء كقوله ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة هذا
كما تراه وفي الكشاف وجوه لم تلم بجوعه ونسال الله التوفيق ونعوذ به من
التهجم على كتاب الله بغير مخلص ونستغفره لنا ولاخواننا المومنين قوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه هذه كالنتيجة لما تقدم لا انه اذا اوحى
الله الانبيا واحدا مثنى فهم على ان يصدق بعضهم بعضا وقد لزم اممهم ما
لزمهم فهذا محمد خاتمهم وامره اوضح من ان يخفى سيما عندكم ايها المجادلة
من اهل الكتاب فقد لزم الايمان به ونصرته وقد تعلق بخصوصه وبشروا به
واليه يشير الحديث ولذا خصص بعضهم الرسول والظاهر العموم كما فعله الزمخشري
لكن لمحمد صلى الله عليه وسلم خصوصية القصد هنا لما له خصوصيات سالفة فيهم ولذا قال
لهولا الحمقى فايا ابيناه تكيم عن دين الله المتعين في محمد وحكم الله ما قد ينقاد
له من خلق طوعا وكرها فلم تحصلوا من اعنادكم انفسكم الا على الخسارة

تمام

ثم امر صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة قل امنا بالله الاية لتكون ختام هذا الحجاج ثم قال
ومن يطلب غير الاسلام دينا من امره من امر محمد وهو الاسلام دين الانبيا جميعا فلن
يقبل منه البتة قد علم ذلك وهو الابد الاشقيا مما يطلبون الا الاسلام في كل اسم حين
قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم عدم قبول
التوبة يحتمل معنيين احدهما ان يكون الاية في قوم مخصوصين والمانع من ذلك فان
العقل لا يوجب قبول التوبة وقد جمعنا ذلك في العلم الشامخ وقد جا ثعلبة بن حاطب
بزكوته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وكذلك ردها عليه ابو بكر وعمر لقوله تعالى فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه وكذلك اخرج ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب غنيمة امر بلالا فنادى في الناس فيجيئون
بغنايمهم فيخمسه ويقسمه فجا رجل يوما بعد ذلك بزمام من شعر فقال يا رسول الله هذا
كان فيما اصبناه من الغنيمة قال اسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم قال فما منعك ان تجي به
فاعتذر اليه فقال كلا انت تجي به يوم القيمة فلن اقبله عنك واخرج ابن جرير عن ابن
عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محلم بن جثامة مبعثا فلقيهم عامر بن الاضبط فحياهم
بتحية الاسلام وكانت بينهم احنة في الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجا محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال لا غفر الله لك فقام
وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت به ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض
فجاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم
ولكن الله يعظكم ثم طرحوه في جبل والقوا عليه الحجارة فهولا لم تقبل توبتهم كما ترى
ومن ذلك قول ابن عباس وغيره ان توبة المسلم اذا قتل مسلما لا تقبل وهم ادلة
توبة كثيرة في السنة فاذا ثبت عدم لزوم عموم قبول التوبة قطعا بالشرع وقد بينا
بطلان لزوم قبولها عقلا فلا مانع ان لا تقبل توبة بعض المرتدين او اليهود
ويحتمل معنى اخر وهو انهم لا يصدر منهم توبة صحيحة تقبل عند الله وان كلفنا

هذا الاحتمال ناسب المعنى الذي اشار اليه هنا لا يعود عليه بالنقص وانما ناسب ليلحق الذي سيشير اليه بقوله ويحتمل معنى اخر فتدبر

Copyright © King Saud University